مؤسسة ملتقى الخطباء
INSTITUTION FORUM OF SPEAKERS
بيئة تفاعلية عالمية لخطب مؤثرة
ملتقى الخطباء
WWW.KHUTABAA.COM

عنوان الخطبة	فساد الديانة والأمانة: العمل والإتقان
عناصر الخطبة	1/ حادثة غريبة 2/ تقارير رقابية مخيفة 3/ أداء الموظف في العمل العام والأهلي 4/ فضل الأكل من كسب اليد 5/ الدين وإصلاح الحياة 6/ قيمة كل امرئ ما يحسنه 7/ الإحسان منهج حياة المسلم
الشيخ	الدكتور: علي بن عمر بادحدح
عدد الصفحات	11
رقم الخطبة في الموقع	4258

إننا وقد سلف لنا حديث عن فساد الديانة والأمانة وأثره في واقعنا، أبتدئ بقصة ذكرها كاتب في إحدى الصحف، قال: اتصل بي موظف حكومي، وقال: إنك لم تحضر لاستلام شهادة ميلاد ابنك وتأخرت عن الوقت، فأخبره بأنه طبيب وأن طبيعة عمله حالت دون ذلك وأنه سيأتي قريباً، فقال الموظف له: ولما لا آتي بها إليك في فترة المساء إلى بيتك؟! قال: هذا ليس من عملك وأنت لست مطالباً به، قال: لكنني موضوع في هذا المكان لخدمتك، وإذا لم تستطع الحصول على هذه الخدمة فمن واجبي أن أوصلها إليك، قال: وبالفعل جاء إليَّ وسلمني الشهادة في بيتي.

وبعد أن ذكر هذه الحادثة، قال: وقعت لي في أثناء دراستي خارج المملكة، أي أنها ليس عندنا، قال: وهم يسمون الموظف الحكومي بلغتهم (Civil servant) أي خادم مدني، فهل يرضى الموظف الحكومي المحترم عندنا أن يسمى خادماً مدنياً؟! وحقيقة فعله ووظيفته أنه موضوع لخدمة الناس.

ومن هنا أنتقل بعد هذه الومضة التي قد نتبسم لها كما أشرت في بداية حديثنا عن هذا الموضوع في المرة الماضية، أمضي إلى صور أخرى تحكي واقعنا، وهي ليست من قولي وليست من قولكم، بل هي من قول الأجهزة الحكومية نفسها، هيئة الرقابة والتحقيق أفادت أنه خلال عام رصدت مائة وخمسين ألف حالة غياب عن الوظيفة الحكومية، وهذا ما رصدته غير ما لم ترصده!

وفي تقرير ديوان المراقبة العامة يقول: إن 70% من الموظفين الحكوميين متسيبون، وأن 94% منهم يتغيبون بشكل أو بآخر.

ويضيف تقرير لهيئة الرقابة أيضاً ما يؤكد هذه المعاني، وجاءت بعد ذلك دراسات أخرى ليست من دائرتنا، بل من الدائرة العالمية التي هي اليوم – كما يقولون– تتحدث عن قرية واحدة، ففي دراسة المكتب الإنمائي للأمم المتحدة: إن إنجاز الموظف في دول مجلس التعاون الخليجي لا يزيد عن 28 دقيقة في يومه، ومكتب الدراسات الخليجية للاستثمار قال: إن معدل الإنجاز دقيقتين في كل ساعة، أي أن الدقيقة ستكون أقل.

والسؤال هنا، لم أتحدث عن هذا؟!

لأن حديثنا عن الفساد كان يرتقب فيه أن نتحدث عن الرشوة، وأن نتحدث عن الغش في المواد ونحو ذلك وهذا كله من الفساد، لكن لم لا نتحدث أولاً عن لبّ وجوهر الفساد وهو المفهوم والأصل المتعلق بي وبك وبكل أحد، فإن هذا هو جوهر أساسي لهذا الفساد، فإذا قلنا ذلك دعونا نرقب الواقع الذي نتحدث عنه في مجالسنا، كلنا يقول: إن الموظف المجتهد قد يصل إلى مقر عمله الحكومي متأخراً نصف ساعة، وهذا من الجيدين، فإذا وصل احتاج إلى نحو نصف ساعة حتى يتهيأ فإذا عمل ساعة توقف للإفطار، وإذا انتهى الإفطار عاود العمل ثم رجع إلى الصحافة والمكالمات، وقبل الظهر يتوقف للصلاة، وبعده يذهب لإحضار الأبناء ويعود إن عاد لآخر الدوام ليقول غداً نلتقي مرة أخرى، ونحن ندرك أن أفضل الأحوال التي ترصد ذلك من الناحية الزمنية تخبرنا بأنه أعلى إنجاز يمكن أن يصل بهذه الطريقة هو 50% من الوقت المتاح، ما معنى ذلك؟!

معناه أن 50% من كل الأجور والرواتب التي تدفع ذهبت هدرًا ولم تحقق ثمرًا ولم يقع بها انتفاع.

لست هنا لأقرر أو لأسرد تقارير من هذا النوع، سأنقلكم الآن نقلة أخرى لنرى عمق الفارق وعظمة الهوة بين هذا الواقع المرير، وليس مقارنة بواقع غيرنا من الأمم، وإنما بواقعنا نحن مرة أخرى، وإنما بالمقارنة

بالمنهج الإسلامي الشرعي الذي نحن منتسبون إليه لكننا مقصرون في أدائه، ومنحرفون عن حسن فهمه وبعيدون عن مرامي قصده.

وهذه هي المشكلة الكبرى، نحن نظن أن عملنا وعبادتنا تكون كاملة إذا كنا في الصفوف الأولى في الصلاة فحسب، مع أن الصفوف حتى الأولى وحتى الآخرة فيها ما فيها من التقصير، الإسلام جعل هذه القضية قضية أساسية جوهرية تبدأ بأن العمل ضرب من العبادة يؤجر عليه المرء، ويكتسب الحسنات كما يؤجر في الخطوات إلى المساجد لأداء الصلوات، وكلنا يحفظ حديث النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح عند البخاري وغيره: "ما أكل أحد طعام قط خير من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داوود كان يأكل من عمل يده"، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم كما في صحيح مسلم: "أن زكريا عمل نجارًا"، وأخبر كما صح عنه عليه الصلاة والسلام: "أنه ما من نبي إلا ورعى الغنم" حتى هو صلى الله عليه وسلم أخبر قال: "كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة".

وفي حديث كعب بن عجرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مع بعض أصحابه فرأوا رجلاً جلداً نشيطاً قوياً فقال بعضهم: "لو كان هذا في سبيل الله لكان حسناً" أي لو أن صاحب هذا الجسم القوي كان من المجاهدين في سبيل الله لاستثمر هذا الجهد والطاقة فيما ينفع الأمة، وفيما يعود عليه بالأجر والمثوبة، فلفت النبي صلى الله عليه وسلم النظر إلى جانب آخر، قال: "لو كان خرج على عيال له صغار لكان في سبيل الله،

ولو خرج يعول والديه أو يكسب لوالديه لكان في سبيل الله"، هذا بذاك، اغتنام الطاقة والجهد في عمل يكفّ به المرء نفسه عن السؤال ويعطي من كلفه الله عز وجل النفقة به عليه يكون كذلك في سبيل الله، ويؤجر كما ورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "ما كسب الرجل كسباً أطيب من عمل يده، وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقه) أي يؤجر بها، فهل يعي الموظف حكومياً أو أهلياً أن ساعاته بل دقائقه ولحظاته، بل حركة يده وقلمه بل كل شيء في أثناء أدائه لوظيفته يمكن أن يكون كله حسنات تكتب في صحائفه وأجراً يرفع قدره ومقامه عند ربه، هذا المفهوم الغائب الذي نقوله أحياناً في غير محله عندما يأتي أحدنا وينام ويقول النوم عبادة لأنه يتقوى بها على الطاعة، ونحو ذلك من استشهادات في غير محلها على هذا الوجه.

وأمر ثانٍ وهو أن العمل أمانة، والأمانة يجب أن تؤدى وأداؤها على غير الوجه الأكمل ضرب من الخيانة والله سبحانه وتعالى أمر: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: 58]، أنت هنا في هذه الوظيفة تؤدي الأمانات والخدمات إلى أهلها من المراجعين؛ لأنهم أصحاب حق، ولأن المال الذي يُدفع لك إنما يُدفع لكي تقدم لهم هذه الخدمة، والمال الذي يُدفع لك إنما هو مالُهم؛ لأن مال الدولة هو مال جمهور الشعب؛ لأن هذا هو الميزان الذي تنتظم به أمور الحياة كلها: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: 8] يرعون الأمانة،

الأمانة في دلالتها العظيمة التي أشفقت من حملها السماوات والأرض وحملها الإنسان (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا) [الأحزاب: 72].

هل ندرك أيضاً نحن جميعاً أننا مؤتمنون على صحتنا وعلى أوقاتنا وعلى ما سخره الله لنا من أسباب هذه الحياة الدنيا كله أمانة حتى الصحة أمانة، فالذي يدخن ويحرق قلبه وصحته خائن للأمانة، والذي يفعل ويفعل مما نعلم مما لا يحتاج إلى ذكر كذلك.

والعمل كذلك صيانة لماء الوجه أن يُراق، صيانة للإنسان أن يكون عالة على غيره، صيانة للفرد أن يكون عبئاً على المجتمع، صيانة للأب أن يكون في صورة ممقوتة أمام أبنائه وهو عاطل لا يعمل ولا يؤدي دوره في حياته.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لئن يحتطب أحدكم حزمة من حطب على ظهره خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه"، ولذلك عمل اليد حتى إن لم توجد الوظيفة في أي ميدانٍ مباح مشروع، وفي أي ميدان شريف ظاهر يمكن أن يكون هو -بحد ذاته- أداء لأمانتك التي استأمنك الله عليها في صحتك وبدنك، وفي من كلفك الله أمرهم وأوكل إليك نفقتهم من أهلك وزوجك.

رحم الله علي بن أبي طالب فإنه كان يقول: "قيمة كل امرئ فيما يحسنه"، فإذا لم تحسن وظيفة فلتحسن مهنة، وإذا لم تحسن مهنة فلتتحرك ببدنك وقوتك في أي ميدان تحمل أو تضع حتى تكون عاملاً.

وأما الأمر الذي أحسب أننا سنكون في حال من الفجيعة لفقده ولغيابه وسيكون أظهر في بيان الفرق الهائل والبون الشاسع بيننا وبين حقائق ديننا فهو ليس مجرد العمل؛ وإنما الإتقان والإحسان، وما أدراك ما الإحسان؟! نعم أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في سياق المعاني الإيمانية الأصلية عندما ذكر أركان الإيمان وذكر أركان الإسلام ثم قال: "والإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك"، عجباً لهذه المقولة النبوية العظيمة الجليلة المحفوظة التي أحسب أن أكثرنا إن لم يكن جميعنا يحفظها ويرددها! كأنك تراه! فهل المتأخر عن وقت دوامه لو استشعر أن الله يراه سيتأخر؟! وهل الذي يسوّف ويعطل؟! وهل الذي يرتشي؟! وهل الذي والذي والذي... يستشعر هذا المعنى؟! هل نحن بالفعل نعيش جوهر ديننا وروح إسلامنا؟ نستطيع أن ندرك كم الفرق شاسع؟ وكم نحن في حاجة إلى تصحيح قوي بعزم فتي وجهد جماعي وليس مجرد قول؟!

روى مسلم في صحيحه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا كفّن أحدكم أخاه فليحسن" فليحسن في الكفن لميت سيوضع في القبر وما عسى ستكون النتيجة لو لم يكن هناك إحسان؟! ما الفرق؟ ما

الأثر؟ ما الضرر؟ لا شيء، لكنها منهجية هذا الدين الذي تجعل المرء المؤمن به والتابع له يأبى إلا أن يأتي بالأمر على أكمل الوجوه وأحسنها.

وفي حديث رواه الطبراني يروي فيه أحد أصحاب النبي أنه شهد جنازة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نزلوا بها إلى داخل القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سوِّ لحد هذا، سوِّ لحد هذا" حتى ظن الناس أنها سنة – يعني أن يفعل ذلك على أنه سنة – فقال صلى الله عليه وسلم: "أما إن هذا لا ينفع الميت ولا يضره، ولكن الله يحب من العامل إذا عمل أن يحسن"، وفي لفظ آخر: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه" رواه البيهقي.

وفي صحيح مسلم حديث محفوظ ندرسه لأبنائنا في المدارس: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته"، بأبي هو وأمي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ماذا تريد الأمة بعد هذا التوجيه الفريد الذي أحسب لو أن أمة عندها مثله لكتبته في كل مكان ولجعلته لبّ وجوهر القوانين والأنظمة في سائر المنظمات والأعمال.

ولذلك ينبغي لنا أن ندرك أن علاجنا ليس في أمور قلوبنا وإيماننا، وليس في أمور عباداتنا وصلواتنا. في القرآن والسنة بل في أمور أعمالنا وسير حياتنا وانتظام كل أمور أعمالنا مرتبط بكتاب الله وسنة رسوله.

الخطبة الثانية:

إن التقوى في أداء الأعمال من أجلّ أنواعها وأعظم صورها وأكثر آثارها نفعاً في حياة الناس، ولعلنا وقد مررنا بتلك النصوص على وجازتها بقدر الوقت الذي يتاح هنا نستنبط أمرين اثنين في غاية الأهمية أنه إذا طلب الإحسان في الأمر اليسير البسيط فهو من باب أولى في الأمر العظيم الكبير، وإن كان طلب في الأمر الذي لا يترتب عليه ضرر، فكيف هو بما تترتب عليه الأضرار وتتأخر به المصالح ويقع به نوع من صورة سلبية كبيرة في واقع أمتنا؟

والاستنباط الثاني من هذه الأحاديث والنصوص أن الإتقان والإحسان ينبغي أن يتحول إلى ثقافة عامة نعلّمها لصغارنا في البيوت، وندرّسها لأبنائنا في المدارس وندرّب عليها طلابنا في الجامعات، ونُوَعّي بها أمتنا في وسائل الإعلام ونقدمها قدوة في المسئولين كبارهم قبل صغارهم.

ليس المطلوب أن نبحث عن قانون ونظام لنجرّم موظفاً صغيراً ونترك كبيراً، أو لنعالج نظاماً في دائرة ونترك خللاً في المنظومة كلها، وأعني بالمنظومة كلها منظومة التربية الأسرية والتعليمية والإعلامية والمجتمعية نحن اليوم في مجتمعنا نحارب الإتقان والإحسان، إذا انتظم الموظف في أدائه أو أراد أن يؤدي دوره كاملاً كان زملاؤه أول من يعارضه؛ لأننا تشربنا -بغير إدراك منا- مفاهيم الكسل بدل العمل، ومفاهيم ضروب

من الخيانة بعيداً عن الأمانة، ومفاهيم العمل العابث واللامبالاة بعيداً عن الإتقان والإحسان.

هذا هو مربط الفرس وهذا هو أساس الفساد، هو فساد العقول في تصوراتها وفساد القلوب والنفوس في كمالاتها وذلك ما نحتاج إلى معالجته فإن الإحسان والإتقان جاء في كتاب الله وفي سنة رسوله صلى الله عليه وسلم على وجوه كثيرة وضروب عديدة: (صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ) [النمل: 88]، (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) [هود: 7]، (وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا) [البقرة: 83]، (ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [المؤمنون: 96]، كم أن الإحسان روح حاضرة في كل أمر من أمور ديننا، من الإيمان والإسلام إلى الإحسان في مفهومه العام، إلى الأعمال، إلى كل معاملة بينك وبين زوجك، وبين المعلم وتلميذه، وبين الحاكم والمحكوم. وحين تصحح المفاهيم وتحيى بها القلوب وترشد بها العقول، وتتمثل في واقع الحياة، سيضرب بنا المثل عند الأمم كلها، وسنكون أصحاب الأعمال والإتقان والإحسان والانجاز على أكمل الوجوه، لا لأننا نأخذ نظريات غربية أو سياسات يابانية وإنما ننطلق من قاعدة إيمانية.